مجلة علم النفس

مجلد ٥ — يونيو — سبتمبر ١٩٤٩ — عدد ١

الإشاعة

بقلم

الأميرالاى أركان الحرب أحمد شوقى عبد الرحمن بك

الإشاعة هى النوادر والطرائف التى تتناقلها الأفواه دون التثبت من صحتها ، وهى من أخطر أسلحة « الحرب السيكلوجية » بل أشدها خطراً . ولقد استغلها الموهوبون فى كل العصور من قبل أن يعرف « علم النفس » . فإن « جنكيزخان » الذى ظن المؤرخون أنه أحرز انتصاراته الكبرى بجموع لا تحصى من الفرسان التتار الأوابد ، واكتسح الممالك بكثرة عديدهم كان فى الواقع أول قائد مظفر استغل الإشاعة للتهويل فى ضخامة قواته والترويع ببأسهم ووحشيتهم . وقد دلت الأبحاث الحديثة فى جلاء ووضوح على أن البلاد التى صدرت عنها قواته لم تكن لتنتج هذا العدد العديد من الأفراد . وكثير من الأوربيين لم يدركوا حتى اليوم ما كانت عليه قوات المغول من قلة العدد ، وما توافر لها من وسائل خفة الحركة ، وتطبيق أسلوب جرىء من الحرب السيكلوجية دعامته بث الإشاعة فى محيط الأعداء وجعل جواسيسهم أنفسهم يذيعونها بين بنى قومهم ، فبز بذلك أقوى الأصول الفنية فى « الدعاية السوداء » التى بلغها الألمان والروس والأمريكان فى الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها . واستطاع جنكيزخان باستخدام الإشاعة التى هى أقوى أعمدة « الروح المعنوية الهجومية » أن يحارب فى جبهتين فى آن واحد فى الصين ضد أسرة « صانج » وفى بروسيا ضد

الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وذلك على امتداد الآلاف من الأميال وأن يفوز بالظفر . وكانت طريقته المثلى أن يجعل جواسيس الأعداء أنفسهم وسطاءه غير المأجورين فى بث الذعر فى أقوامهم وترويع قوانهم . قال أحد جواسيس سلطان « خوارزم » بعد أن عاد من مهمته فى التجسس على المغول « إن جنود جنكيزخان تبدو كأسراب الجراد لا حصر لها إنهم لا يتحدثون فى شىء غير الحرب والدماء ويبدو منهم التحرق شوقاً إلى الدخول فى غمرة الوغى حتى إن ضباطهم يكابدون عناء فى كبح جماحهم ... » وإذا كان القواد الملهمون فى الماضى قد استخدموا الإشاعة دون أن يلموا بما كتب « فرويد » أو « بافلوف » فإن العصر الحديث قد وضع فى متناول العسكريين كافة « علم النفس » ودراساته المتنوعة التى تمكنهم من أن يحصلوا على نفس النتائج التى أحرزها العباقرة والملهمون بوحى العبقرية والإلهام . فإن « السيكولوجى » يستطيع أن يوجه نظر الجندى إلى عناصر العقل الإنسانى التى لا يراها ، ويريه كيف تتحول الشهوة إلى حنق ، والابتكار والنشاط الذاتى إلى جبن ، والاحتكاك إلى عدم ثقة ، والهوى إلى غضب .

فالهزيمة فى الحروب حالة عقلية . قال المارشال « فوش » : « إن المعركة التى يحرز النصر فيها القائد هى التى لا يعترف فيها إلى نفسه أنه هزم » . ولذا فإن الغاية من قتل العدو وتكبيده آلاماً هى إرغامه على التسليم والاستسلام أو تبديل حالته العقلية بتحويل إصراره على المقاومة إلى الإذعان وقبول الهزيمة — ولا سبيل إلى ذلك إلا بشن الحرب السيكولوجية بجانب الحرب المادية ، بحيث يكون هدفها الأول هو تهيئة العدو لقبول التسليم ، وذلك بمحاولة التأثير فى رأيه بالقول والحجة والإيحاء والتنوير والتضليل وغير ذلك من الوسائل غير المباشرة بقصد القضاء على معنويته إلى الحد الذى يجعله يصبح فيعتقد أن الحرب شر أنكى من الهزيمة .

ولقد جند الألمان عقب الحرب الماضية علماءهم وبخاصة فى « علم النفس » وأنشأوا هيئة أركان حرب للشئون السيكولوجية إلى جانب القيادة العامة العسكرية وانقسمت إلى عدة فروع تخصصية منها : قسم الروح المعنوية الهجومية ، والروح المعنوية الدفاعية . وهدف الأولى هدم روح العدو المعنوية وهى تتناول « الإشاعة والدعاية والفوارق القومية فى الاتجاهات النفسية والدوافع » . أما الروح المعنوية الدفاعية فتختص بالروح المعنوية بين الجنود والمدنيين الألمان .

محذا حذو الألمان كل من الدول المحاربة الأخرى : أمريكا وروسيا وبريطانيا

واليابان واستغلوا الحرب السيكولوجية بوجه عام والإشاعة بوجه خاص إلى أقصى الحدود . وما زالت الصحف تترى اليوم بأنباء الإذاعات على الموجات القصيرة من أمريكا وبريطانيا من جانب ، وروسيا من جانب آخر ، وتردد الإشاعات على مختلف أنواعها .

وتنتشر الإشاعة على الرغم من إفتقارها إلى ما يؤيد صحتها حيث إن معظم الناس الذين يسمعونها تحدوهم الرغبة فى ترديدها وإذاعتها مع أن المفروض أن المرء لا ينقل شيئاً يفتقر إلى إثبات وبخاصة إذا كان يتعلق بأمر حيوى . ولكن ناقل الإشاعة يرددها لأنها صادفت هوى فى نفسه . وقديماً قالوا :

قد تنجح المقالة فى المر ء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فالإشاعة التى تحمل فى طياتها ما يؤيد ريبة أو ضغينة أو تحقق سبباً للخوف أو تنطوى على ما يبعث على الأمل تكون موضوعاً مستحباً يطيب ترديده بجانب ما تضفى عليه حماسة الناقل وعاطفته من القوة والبيان .

وعلى هذا فإذا ذاعت الإشاعات فى سرعة ، وعلى نطاق واسع ، كان فى ذلك الدليل أقوى الدليل على أن هناك كثيرين مشتركين فى الشعور بالبغض أو الخوف أو الأمل . وإن كان بعضهم لا يؤمن بصحة الإشاعة ، إلا إنه فى نقلها إنما ينفس عن عاطفة كان يحتمل أن تظل مكبوتة لولا ظروف الإشاعة . إنه يحس بأن لا ضير عليه ولا جرم إذا نقل نبأ لا ظل له من الصحة عن شخص يكرهه مثلا ولا يستطيع أن يجاهره بالعداء ، فهو لم يكن مبتدعه ، أو مخترعه ، وإنما هو ناقل . « وناقل الكفر ليس بكافر ! » إنه فى الواقع يشعر بالغبطة والارتياح حين يصغى إلى النبأ ، وحين ينقله إلى غيره : لأنه بذلك يتخلص من بعض شعور العداوة الذى يحز فى نفسه نحو هذا الشخص المعين ...

وغنىٌّ عن البيان أن هذا النوع من الإشاعات والذى يسمونه « شائعات الكراهية » أو « دق الإسفين » من الخطر بأعلى مكان ، إذ تحرك الخصومة والريبة بين الطوائف المختلفة فى الأمة نفسها ، وبين الأحزاب السياسية فيها ، بل وبين الحلفاء وبعضهم البعض . فإذا كره أحدهم طائفة أو حزباً أو حليفاً كان على أتم استعداد لتصديق الإشاعة ونقلها بدوره إلى غيره . وهكذا تستخدم هذه الشائعات بغية تحديد الشخص أو الجماعة التى ينصب عليها غضب الآخرين أو « كبش الفداء » .

وتنتشر الإشاعات أيضاً بسبب قلق الخواطر ، واضطراب الأفكار لأن الناس

يخافون مثلا من أشياء معينة ، ولذا فهم مهيئون مبدئيا لتصديق الإشاعات التى تقال عن هذه الأشياء .

فى الحرب يطغى الخوف على قلوب الآباء ، والأمهات ، والمخطوبات بسبب لهفتهم على أعزائهم الغائبين فى الميدان . فإذا حدثت معركة مثلا لم تنتشر حقائقها مفصلة ، تنتشر القصص عنها فى صورة إشاعات مبالغ فيها ، ولا يحاول إنسان التحقق من صحتها لأنه يخاف من الوقوف على الحقيقة الصريحة . ويسمى هذا النوع الذى يصدر عنه الخوف « إشاعات البعبع » .

والنوع الثالث من الإشاعات ينتشر لأن الإنسان فى حالة القلق ، والتوتر النفسى يتمسك بالقشة إذا وجدها مؤاتية لغرضه . فإنه يمنى نفسه بالآمال المعسولة ، و الإنسان تلذ له الأمانى وقديما قيل :

«منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى وإلا فقدعشنا بها زمناً رغداً »

وهذه الإشاعات تسمى « إشاعات الأحلام » وتنتشر هذه لأن الناس تجد فيها رَوْحاً ، وغبطة ، وسعادة .

وبعض الإشاعات تظهر فى الصحف علانية وتذاع فى « الراديو » صراحة ويذكرون عنها أنها مجرد إشاعة فإذا لم تتطرق إليها المبالغة بتكرار نشرها ، وإذا داوم المذيعون على إظهارها بأنها إشاعة لا غير فإن أثرها يكون قليلا .

وهناك إشاعات مستترة هامسة تتناقلها الألسن تحت عهد السرية والكتمان ولكنها قابلة للنمو حتى تصل إلى حجم خيالى ، وراويها لا يحس بتبعة إزاءها بل قد يترك لشهوته ، أو خوفه ، أو حقده العنان فيلهو بها الخيال كيف شاء .

وقد يتقبل المرء الإشاعة بصورة سلبية ، أى لا يأبه لها فى ظاهر الأمر ، ولكنها تخلف أثرها فى نفسه ، فينمو هذا الأثر ببطء حتى يفتك بالثقة ويقوض دعائمها .

* * *

ولما كان نقل الإشاعة — كما أسلفنا — يشفى غليل الناقل أو يفى ببعض حاجته فالإشاعات إذاً هى دليل بارز على قوة الروح المعنوية ، والإشاعات المتشائمة القاتمة التى تتحدث عن الكوارث ، والهزائم ، والخيانات أو بعبارة أخرى « إشاعات البعبع ، ودق الإسفين » ما هى إلا ريشة فى مهب الريح طائرة تدل على أن من يتلقفونها ، قلقون ، مبلبلو الخاطر ، أو أنهم خصوم . فى حين أن الإشاعات المتفائلة السارة أى « إشاعات الأحلام » تهدف إلى التهدئة والإفراط فى الثقة ، وكلا النوعين قد

يدلان على أن الروح المعنوية منخفضة . لأن إشاعات الأحلام تجعل المرء كثير الحساسية بها قليل الحساسية بالحقائق الواقعة .

* * *

وإن الإشاعات التي تسود جماعة معينة تدل على مبلغ القوة والثقة في صحافتها وإذاعتها ، فإذا ذاعت إشاعات ذات خطر ، دل ذلك على أن الجمهور لا يحصل على القسط الكافي من الأنباء من مصادره الرسمية ، أو أن الناس قد فقدت الثقة بهذه المصادر .

وتنتشر الإشاعات بسهولة في الجماعات المتجانسة ، حيث يتشابه الشعور ، كالطوائف والأحزاب ، والمدن ، والجيوش .

والحرب تؤلف بين الناس إذ تربط الأمة المحاربة برباط مشترك عميق الأثر . فالقوم جميعا يشتركون في الأمل بالنصر ، والخوف من الهزيمة ، والإحساس بالإخفاق لانفصالهم وبعدهم عما يحبون ، وكذلك في خصومتهم للعدو ، ولكل من يهددهم باحتمال وقوع الفشل . فالإشاعة التي تعرب عن هذه العواطف يسهل إذاعتها حتى تبلغ جميع الآذان .

وإن قلة الأنباء عن الأمور التي تهم الجماهير مما يروج الإشاعات . فإن الناس تنشد المعلومات عما يهمهم من الأمر ، وكلما زاد اهتمامهم كلما ازداد طلبهم للمعلومات وحينما تطبق الرقابة المدنية في شدة أو تقل مصادر الأنباء ، مع زيادة الاهتمام — كما يحدث إبان الحرب — فإن الصحف تلجأ إلى الإطناب في سرد الأنباء التافهة لإرواء لتعطش الجمهور ، عندئذ تسرى الإشاعات وتنتشر . فإن الناس يطلبون الأخبار مهما كانت ومهما كان موضوعها . إنهم يقبلون أي نبأ له شكل المعلومات ، ولا يملكون في هذه الحالة الحقائق الواقعية التي تناهض الإشاعات الكاذبة ، وتقضى عليها . وبالمثل تتوقف قوة الروح المعنوية في الجنود جزئياً على المعلومات التي يحصلون عليها فيما يتعلق بمصيرهم ، أو فيما يحتمل أن يكون عليه مصيرهم .

فالجندي ينشد الأخبار — الأخبار الطيبة في أغلب الأمور — ولكن الأخبار السيئة أفضل عنده من الحيرة والشك ! .

يجب أن يعرف المواطن حالة الحرب الجارية في كل جبهة ، ويجب أن يعرف أنباء الانتصارات وأنباء الهزائم في صراحة وصدق ، فقد يحدث أن ترفع الهزيمة من الروح المعنوية في الأمة ، مثلما حدث حينما أذيعت كارثة « بيرل هاربور » في أمريكا .

وأن عالماً نفسانياً بريطانيا قد صرح بأن العامل الجوهرى فى سمو الروح المعنوية فى بريطانيا عقب « دنكرك » هو شعور سكان الجزر البريطانية بأنهم يعلمون كل ما يجرى هناك من الأمور وليس يخفى عليهم شىء .

وإن مجرد وعد « تشرشل » لهم : بالدم ، والعرق ، والدموع ، قد رفع الروح المعنوية فعلا . فالشك — أعنى نقص الأخبار أو عدم الثقة فيها — بسبب سبق إذاعة أنباء زائفة ليس له أثر محمود فى الروح المعنوية .

ويختلف الناس فيما يتعلق بنماذج الإشاعات التى يصدقونها ، وبميولهم فى ترديدها ونقلها إلى غيرهم . فالمتشائم يكون مستعداً لقبول الإشاعات المزعجة على حين يقبل المتفائل ما يحمل فى طياته الأمل .

وكل من الكسول والملول ، والمتعطل ، والمضطرب الحياة ، يكون على استعداد لقبول الإشاعات وإذاعتها إذ يجد فى ذلك تسلية ، ولهوا ، بل تزجية للفراغ ، وتخفيفا للملل .

أما البواعث النفسية لنقل الإشاعة فهى معقدة غالباً ، ومع هذا فيوجد منها ما يعد نموذجيا ، ويشمل ذلك مطالب المرء وحاجاته بجانب بواعث البغض ، والخوف ، والأمل نذكر منها البواعث الآتية :

(١) التظاهر (exhibitionism) وهو عبارة عن جذب الانتباه إلى شخص المتحدث ، فقد يروى الإشاعة قاصداً بها رفع قدره فى نظر الآخرين ، أو ليحملهم على الاعتقاد بأنه عظيم . لأنه « عليم بما هنالك » . أو يروى الإشاعة لمجرد « الدردشة » ومجاذبة الحديث ، أو بقصد اللهو والسمر .

(٢) «توطيد الثقة بالنفس ، والحصول على التأييد العاطفى » فى هذا السياق تروى الإشاعة على أمل أن يقوم السامع بتكذيبها ، أو أن لا يوافق عليها ، أو قد يكون فى التحدث بالإشاعة ما يخفف عن راويها وطأة التوتر النفسانى . إذ يشرك غيره فى مقاسمته حمل العبء ، وفى هذه الحالة يكون غرضه اكتساب عطف الآخرين لا سماع تكذيبهم لإشاعته .

(٣) البروز (projection) يروى المرء الإشاعة حيث يشعر أنها تنأى به عن المخاوف وتظهره عليها وعلى العداوات التى لم يكن فى وعيه علم بوجودها فى قرارة نفسه .

(٤) العدوان (aggression) قد ينقل المرء الإشاعة بقصد إيقاع الأذى

بشخص معين ، وقد يشترك فى نميمة أو ثرثرة اغتياب أو فى خلق « كبش الفداء » .

(٥) إسداء المعروف . وقد تنقل الإشاعة ابتغاء المجاملة الودية . أو الميل إلى صنع الجميل إلى السامع . وتبدأ الرواية فى صورة ملاحظة يقصد بها المجاملة دون أن يكون لها أساس — أو لها أساس تافه — من الصحة ثم لا تلبث مع تداول الحديث أن تتحول إلى حقيقة مقررة .

ولا مراء فى أن رقابة الأنباء تقف حائلا دون نشر الأنباء الهامة فتهيئ السبيل بذلك إلى نشر الإشاعات ، وكلما كانت الرقابة صارمة دقيقة كثرت الإشاعات التى تعمل على هدم الروح المعنوية ، أما إذا كانت الرقابة معقولة رفيقة فلا تروج الإشاعة أو تضر بالروح المعنوية .

ولا ريب فى أن الرقيب بين نارين ، فإذا هو صرح بنشر قسم كبير من الأنباء فقد يستفيد العدو من ذلك فائدة ليس من الحكمة أن يحصل عليها ، وإذا منع الرقيب نشر الأنباء فإنه يلحق الضرر بالروح المعنوية لبلاده لهذا فواجبه أن يختار موقفاً وسطاً بين هذين النقيضين .

ومن المدهش أن الإشاعات التى نسمعها اليوم على اعتبارها أنباء جديدة ما هى إلا من قصص الأقدمين ، لكنها أتشحت برداء العصر ، فإن الإشاعات تتشبث بالبقاء ، حيث إنها تشبع رغبة فى الإنسان ، فتعبر عن مخاوفه ، وآماله ، وخصوماته وهذه الرغائب والمطالب لا تتغير ، وتظل كما هى جيلا بعد جيل .

وقد تكون هناك أسباب تعطى هذه الأنباء صفة الدوام والاستمرار فتظهر فى الوجود عاما بعد عام فى السلم والحرب وذلك لأنها موجزة قصيرة يسهل تذكرها ونقلها وروايتها بجانب كونها لطيفة مستحسنة ، ليس لها أثر عميق فى النفس وأنها من النوع الذى لا يمكن التحقق من صحته .

والإشاعة كباقى الصور الأدبية التى يتوقف انتقالها من جيل إلى جيل على ما لها من صفات تسترعى الانتباه كأن تتضمن السخرية اللاذعة ، أو الأثر الأخاذ ، أو المفارقة الملتوية المفاجئة ، مثل الكلمة القائلة : « بأن انجلترا ستحارب إلى آخر جندى فرنسى » .

ومما يساعد على نشر الإشاعة ما تتضمنه من روح الفكاهة . إن كل إنسان تسترعيه الفكاهة البارعة ويحفظها فى ذاكرته ، ويرويها لغيره مثل النكتة الأمريكية القائلة : « إن البريطانيين لم يستطيعوا استخدام الدبابات الأمريكية لأن الأمريكان

لم يضعوا فيها جهازا يجعلها تسير إلى الخلف » !. والقصد من ذلك أن الأمريكان فى زحفهم إلى الأمام لا يتراجعون كغيرهم إلى الوراء . إن الأمريكان يتسمون لهذه السخرية ، ويرددونها حيث إن ظاهرها فكاهى . كما أن فيها روح الخبث الخفى .

إن راوى الإشاعة يصبح مشايعاً لها ، ويكره أن يتسرب إليها الشك . ولذا فهو يلتزم الاستحسان لها عند إلقائها . والإشاعة فى المرحلة الأولى تعزى عموما إلى مصدر جدير بالثقة ، ثم إلى ضابط كبير فى رئاسة الجيش ، أو إلى وزير ، أو وكيل للوزارة . إن صبغة التوكيد تيسر للإشاعة الظهور فى ثوب الحقيقة . ولو أن راويها لا يقول عنها إلا أنها مجرد إشاعة فيقول : « لقد سمعت ما سأرويه ولكنى لا أجزم بصحته » أو يقول : « لا أخفى عليك إنى لا أصدق ما سوف أقوله لك ، ولكن الناس كلهم فى المدينة يقولون . . . » . إن هذه الصيغ تعفى راوى الإشاعة من الشعور بالتبعة ، وتجعله يرويها مطمئنا دون أن يحس بتأنيب الضمير ، لما احتوته من كذب أو إسراف فى المبالغة ، كما تهيئ له الفرصة لتنميق القصة والمبالغة فيها ، وإضافة بعض التفاصيل إليها كى تصبح أكثر استرعاء للسامع .

والمعروف أن الأسماء ، والأرقام ، والأماكن ، هى فى العادة من مشخصات الإشاعات التى ليس لها استقرار . فإن هناك إشاعات عديدة تتداولها الألسن فى بلدان مختلفة عن قصة جوهرها واحد بالذات ولكن كل راو من رواتها يدخل عليها الأسماء والأماكن التى يألفها بنو قومه .

ومن عادة الإشاعات أنها تزداد تكتلا وتجسما ووضوحاً مع التداول على الرغم من غموضها فى بادئ الأمر ثم إن الإشارة إلى أشياء مادية يزيد فى سهولة حفظ الإشاعة وبقائها فى الذاكرة وإعادة روايتها بينما الإشارة إلى الأشياء الغامضة يعرض الإشاعة للنسيان والتحوير .

الإشاعة ، كما قدمنا ، هى أمضى أسلحة الحرب السيكولوجية وأقواها ، فهى تطرق الأذن بلا استئذان ، دون أن تظهر عليها مسحة الدعاية المقصودة . إنها تصل إلى مسامعنا بقوة دفعها الذاتية . والسامع لا يتحرى الصحة أو يبحث عما يؤيدها ، حيث إن راوى الإشاعة لم يقل إن هناك أدلة تثبت صحتها . إنه يروى ما سمعه لا غير . ولذا فإن تصديق الرواية أسهل على المرء من عدم تصديقها ، وخصوصا إذا دعم الإشاعة الخوف أو الأمل .

وتستخدم الإشاعة فى الحرب السيكولوجية أو حرب الكلام بالطرق الآتية :

(١) للتقويض – تستطيع الإشاعة أن تقوّض الروح المعنوية تماما . فعند سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ قضى الألمان على الروح المعنوية بأسلوبهم الذى كان يقوم على بث الإشاعات المتشائمة ، تعقبها إشاعات متفائلة . فاستمر الفرنسيون فى غضون الارتباك الذى أحدثه الهجوم الألمانى ، يتراوحون بين الأمل واليأس ، ويتقلبون ذات اليمين وذات اليسار ثم بلغوا المرحلة التى أمسوا فيها حيارى ما بين مصدقين ومكذبين وأفضى بهم ذلك فى نهاية الأمر إلى جو من الشك مظلم : ارتياب قاتل . وارتباك شامل ! ويبدأ المشتغلون بالدعاية فى تحرى النقط الضعيفة فى الخلق الوطنى للأمة ، ثم يبثون الإشاعات التى تؤدى إلى إضعاف الوحدة القومية وتدميرها . (فكان يقول الألمان للأمريكان : ، إن الحرب هى حرب استعمارية لانجلترا وفرنسا للدفاع عن مستعمراتها الشاسعة ، وإن مجهود ألمانيا هو تصحيح هذا الإجحاف) . أو يعمل الداعية على توسيع شقة الخلاف بين الطوائف كالخلاف بين العمال وأصحاب الأعمال بإشاعة الريبة والشك كأن يقال إن العمال ينالون من الأجر أقل مما ينبغى . فى حين أن أصحاب الأعمال يربحون أكثر مما ينبغى . أو إثارة الفتنة بين طائفة دينية وأخرى فى الأمة . أو تأييد أقلية نشيطة مزعجة فيها . وفى كل هذه الأمور تلعب الشائعات المحرفة ، والأراجيف المذاعة دورا رئيسيا هاما . وبذا يمكن القضاء على التعاون الذى لا غنى عنه ، بمجرد بث الشكوك التى ظاهرها معقول . والإشاعة لا تقدم دليلا على أى شىء . إنها تستنفد غرضها ، وتؤدى عملها ، بمجرد إثارة الريب والشكوك !

(٢) استخدامها كستارة من الدخان – تستطيع الإشاعة أن تحجب الحقيقة. فن الأصول الفنية أن يبوح كل داعية بطائفة من المعلومات التى لها صفة السرية ، حتى يتعذر على المستمعين أن يتبينوا فى هذا الفيض من الأنباء السرية المتضاربة حقيقة السر أو ما هو سرى حقيقة . لقد بز الألمان غيرهم فى التمكن من هذا الفن ، فكانوا يسمحون بتسرب كثير من الأنباء السرية المتناقضة من داخلية بلادهم إلى البلدان التى يهدفون إلى بلبلة الأفكار فيها .

(٣) للحط من قيمة مصادر الأنباء – وهذا من الأصول الفنية الخاصة ، ونذكر على سبيل المثال : أن البريطانيين سنة ١٩٤١ حاولوا تدمير محطة برلين بقنابل الطائرات ولكنهم لم ينجحوا فعمد الألمان على إذاعة أنباء قالوا إنها من مصادر لا يقطع بصحتها ، بأن البريطانيين قد أفلحوا فى محاولتهم تدمير محطة برلين . فلما وصلت هذه الإشاعات إلى بريطانيا تقبلها البريطانيون على أنها تأييد لنجاحهم فى مهمتهم فأذاعوها

على الأثير ، فما كان من وزارة الدعاية الألمانية إلا أنها دعت مراسلى الصحف الأمريكية إلى المكان الذى أشار إليه البريطانيون ليقيموا الدليل على كذب الادعاء البريطانى ، وليدللوا على أن الأنباء التى تذيعها الإذاعة اللاسلكية البريطانية غير موثوق بصحتها .

(٤) فى صورة طعم — قد تذاع الإشاعة قصد الوصول إلى معرفة الحقيقة . كأن تذيع إحدى الدول المحاربة أنباء عن خسائر العدو فى معركة من المعارك وذلك لاستدراجه إلى إذاعتها للوصول إلى معرفتها . ولو أن رفض الدول المحاربة البوح بهذه الخسائر على وجه الدقة ، مهما كانت طفيفة ، قد يؤثر فى الروح المعنوية إلا أنه إجراء سليم من الناحية العسكرية حيث لا يوقعها فى الفخ الذى نصب لها .

وختاما فإن هناك بعض القواعد إذا استخدمها القائد أو غيره مما يريدون السيطرة على الإشاعات أمكنهم بلوغ ذلك وهى قائمة على أصول علمية مجربة :

(١) وطد حسن الثقة فى البلاغات الرسمية — فإذا فقد الجمهور ثقته فى صدق البلاغات الرسمية التى تصدرها الصحافة والإذاعة نشأت من جراء ذلك الإشاعات وانتشرت فى كل مكان .

(٢) نم الثقة فى الزعماء والقادة — قد يستطيع الناس الصبر على الرقابة ، وقلة الأنباء إذا اعتقدوا أنهم لا يزودون بأنباء كاذبة ، وأن الأنباء التى تحجز عنهم إنما تحجز لأسباب وطنية وجيهة . وهذه القاعدة تتناول الزعماء من رئيس الحكومة إلى أقل موظف فى الدولة ، ومن قائد الجيش إلى قائد الفصيلة .

(٣) أذكر لهم أوفر عدد من الحقائق الممكنة — دع الإذاعة والصحافة تروى أكبر قدر ممكن من الأنباء الجارية مع مراعاة عدم إعطاء العدو أنباء ينتفع بها . إن الناس يطلبون الحقائق فإذا عزت عليهم تلقفوا الإشاعات .

(٤) قاوم مروجى الإشاعات — وجه كل مجهودك ضد الإشاعات ، عاملا على كشف حقيقة ما يذاع منها ، وفند دعاية العدو ، وأخفض من قيمتها بإبراز الأدلة على بعدها من الدقة ، ومجاوزتها للصدق ، ثم صور مروجى الإشاعات فى صور ساخرة ، مضحكة ، لاذعة .

وفى الجيش يمكن أن توضع لوحة خشبية تسجل عليها الإشاعات . فيتضح منها بعد مرور فترة قصيرة أن طائفة من هذه الإشاعات أصبحت يناقض بعضها بعضا وأن كثيرا منها قد ثبت كذبه بعد نشر الأنباء الصادقة . وهناك أيضا ما يسمونه

, «عيادة الإشاعات» التى يجمع فيها كل مايذاع من الإشاعات التى ترددها ألسنة الجمهور وبخاصة الإشاعات التى يتحمسون لها و يهتمون بها فى سائر الأندية والأماكن. وهناك يروى ما لا يحصى من الإشاعات التافهة . ثم تقوم العيادة بالتحرى عن صحة تلك الإشاعات ثم تنشرها نافية لها ، أو مصححة تحريفها ، أو كاشفة كذ بها. عندئذ يسخر الناس منها ، ويستهزئون بها .

ويدهشنى أنه توجد فى الجيش المصرى نفس العبارات تقريبا التى تكافح بها الإشاعة فى الجيش الأمريكى والإنجليزى والتى توجه الى مروجى الإشاعات فى داخلية السلاح ... بل إن علماء النفس العسكرى فى أمريكا يرون أن يشجع توجيه هذه العبارة وهى : « هل سمعت هذه الإشاعة من بوليس الأدبخانة ؟ » وفى أمريكا يقولون : « من أى مرحاض وصلت إليك هذه الإشاعة ؟» .

وأخيراً فإن فى حالة فورة العواطف ، وثورة الأفكار ، وقلة مصادر الأخبار التى يوثق بها لا يكون فى مقدور إنسان أن يقف فى وجه الإشاعات أو أن يصد تيارها. تلك حقيقة لا تقبل الجدل . ولقد أطلق بعض الصحفيين المغرضين الأجانب على القاهرة إبان الحرب العالمية الثانية أنها « مدينة الإشاعات » ..

وفى الحق أنه يمكن أن تطلق هذه التسمية أيضا على باريس ، ولندن ، وواشنطون إبان الأزمات التى صادفتها خلال الحرب. فإن الإشاعات كانت تروى فى انجلترا نفسها ، وتصل إلى آذان رئيس الحكومة « مستر تشرشل » فى صور حكايات ونوادر وكان يعلق عليها ويسخر منها بروح الفكاهة التى يتميز بها .

والواقع أن حياة الفراغ ، والتبطل التى قد تبدو ظاهرة فى قهوات القاهرة الكثيرة العدد ، لتجعل مجال القيل والقال ، واسعا فسيحا ، وقد يحدث فعلا أن يهبط بعض الصحفيين الأجانب السطحيين ويجلسون فى شرفات الفنادق حيث يستمعون إلى ثرثرة الفراغ فإذا خلوا إلى أنفسهم سجلوا ما يتلقفونه منها فى كتبهم أو صحفهم التى تنشر فى الخارج بين الأصدقاء والأعداء على السواء ، ومصدر هذه أشخاص قد يكونوا أبرياء أو غير أبرياء ولكنهم قد ألحقوا بوطنهم إساءة بالغة .

روى « دافيد ج . جاكوبسن » ، الأمريكى الذى توفر على جمع وإحصاء بضعة آلاف إشاعة متداولة ثم بحثها من ناحية الغرض ، والتأثير ، والمصدر ، حتى يمكن للجمهور بهذا البيان التحليلى أن يحذر الإشاعة وأن يرفض ترديدها وأن يتحرى منبعها ويكشف زيفها. لقد ذكر فى كتابه هذه الواقعة الطريفة ، الجديرة بالتأمل :

« كان مصنع (فابريقة) الإشاعات المختارة (زوجة) ضابط محترم كفء من إخواننا الضباط ! وكانت بعض قصصها آية مقدسة فى الصدق لأنها كانت تقول: بأن السيد فلان سمعها شخصيا من الوزير فلان (تذكر اسمه) ... وأضاف المؤلف بأنه لو صدرت هذه الإشاعات من خبراء العدو المختصين فى الحرب السيكولوجية لاستحقوا عليها تقديرا وثناء !

ومع هذا فقد كانت هذه السيدة تلتهب وطنية ، وكان لها صلات قرابة بستة أو ثمانية ضباط يتولون مناصب هامة فى السلك العسكرى ، ولكنها كانت تعدل وحدها اثنى عشر رجلا من رجال الطابور الخامس الألمانى ، إذ أن شقشقة لسانها هذه قد فعلت فعلها الخطير فى الروح المعنوية لجبهة الوطن الداخلية !! » .

إن الوقت لم يأن بعد لتناول ألوان الإشاعات التى أذيعت بين أهالى فلسطين ، إبان الحرب الماضية بالدرس والتحليل ، فصائغوها لا شك من بين تلك النماذج التى أشرنا إليها من المتبطلين الذين يتشدقون بما يتلقفونه من أباطيل ، وهى لا تخرج فى مجموعها عما يحدث فى أية بقعة من بقاع العالم ، بل تشبه الإشاعات التى تدفع الناس إلى اتخاذ خطوات عملية كما حدث فى فرنسا فى الحرب العالمية الأولى والثانية .

فإن هذه الآلاف من اللاجئين فى فلسطين كانوا ضحايا الإشاعة التى اصطلحوا على تسميتها « إشاعة الذعر » التى تتواتر فى صورة أنباء عن اقتراب جنود العدو ... وخطر هذا النوع حقيقى وملموس وسريع . حيث أن المستمع لها يحاول أن يتخذ الإجراءات السريعة التى يراها ضرورية وتكون إجراءاته أيضا فى صورة مفاجئة وعنيفة فإنه يهرع فيحزم أفضل أمتعته ويضعها على جمل أو دابة أخرى ثم يصحب عائلته معه ويزحف مسرعا مبتعداً عن المدينة . فيصبح هو نفسه بهذا العمل «إشاعة» يتحدث عنها الناس ثم تتحول الإشاعة إلى حقيقة حين يرونه ماضيا أمامهم فيعقدون النية هم أيضا على الرحيل . ولا يلبث الركب أو القافلة السائرة فى الطريق أن تصبح إشاعة من أقوى الإشاعات بل يصبح رمزا مرئيا لا يحتاج إلى تعليق أو تفسير ، و كل فرد ينضم إلى الركب ، وهكذا يتولد الذعر . أما أثره فى العمليات الحربية ، وعبثه على الإدارة ، وإعاقته للتنقلات فأمر غنى بنفسه عن البيان ...

ومأساة اللاجئين فى فلسطين برزت على مسرح الإشاعة . وقد أفادت إلى حد ما تلك الحركة المضادة التى قام بها «الحاكم العام» المحلى المصرى فى بث دعاته يقولون لأهالى البلاد : « إنى أحذركم من مروجى الإشاعات . ما هم إلا عملاء للعدو اندسوا

بينكم ليشيعوا فى نفوسكم الهلع والذعر ، يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم » وما كنت أظن أن تؤتى هذه الشائعات ثمراتها ونحن بينكم نذود عن حياضكم وندفع العدوان عنكم فهل تخلى عنكم إيمانكم بالله ، وثقتكم فى نصره الذى وعد به عباده الصابرين المجاهدين فى سبيله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) » وفى إذاعة أخرى يقول لأهالى غزة : « مالى أرى القوم وقد تبلبلت أفكارهم وشدوا رحالهم ، وهاموا على وجوههم ، وغادروا بلادهم على عجل لا يلوون على شىء إلا الفرار من ديارهم » «وإذا تساءلنا عن سبب ذلك لن نجد جواباً اللهم إلا ضعف إيمانهم ووهن عقيدتهم . بل قل هى الشائعات المغرضة التى ينشرها بينكم دساسون مأجورون » .

« فهل لكم يا أبناء العروبة الأمجاد أن تكفوا عن الرحيل وتذكروا بئس المصير حيث الشتاء والمطر والبرد ويسرنى أن أؤكد لكم أن غزة هى موطن الأمان وأن الجيش المصرى حاميها من كل عدوان ، كما أؤكد لكم أن قوتنا لن تنسحب من غزة قيد أنملة وأنها عازمة على أن تبقى رابضة فيها لتذود عن حياضها » .

هذه ناحية هامة من النواحى التى لعبت فيه الإشاعة دورها فشردت نحو ثلاثة أرباع المليون لاجىء ، ولعل العدو لم يكن له فيها عمل منظم جدى بل هو نفسية الجماعات وتواتر الإشاعات منهم إليهم .

وهناك أساليب أخرى من حرب الكلام حاول العدو بها أن يبعث المحاصرين فى الفالوجا على الاستسلام ، فأذاع جملة شائعات عن بعض الشخصيات والقوات ، ولكن القائد المحلى كان يرجع إلى الرياسة باللاسلكى (مستخدماً الشفرة طبعاً) ليثبت زيفها لجنوده . وقد فشلت هذه المحاولة لأن العدو استخدم الكذب وحده غاية ووسيلة ، ولم يكن لديه معلومات كاملة عن حالة القوات المصرية وعن اتصالاتها برياستها فى غزة ، فقد أذاع العدو أن قائد الكتيبة التاسعة قد قتل وأبيدت كتيبته على بكرة أبيها ثم أرسل صورته من بطاقته الشخصية التى التقطها مصادفة أثناء المعركة . وأرسلها كدليل على أنه قتل . ولكن قائد الفالوجا حين اتصل بالرياسة عرف أن الإشاعة لا أساس لها من الصحة ، وتكلم مع صاحب البطاقة شخصياً بالتليفون اللاسلكى وكان لهذا الحادث أثر حاسم فى إشاعات العدو .

أحمد شوقى عبد الرحمن

المراجع

1. "Psychological Warfare" by Paul A. Linebarger.
2. Psychology for the Armed Forces.
   Prepared by a Committee of "The National Research Council" edited by Edwin. G. Boring.
3. "Miltary Psychology" by Norman C. Meier.
4. "The Affairs of Dame Rumour" by David J. Jacobson.
5. Makers of Modern Strategy. Edited by Edward M. Earle.
6. "Public Opinion and Propaganda" by Leonard W. Doob.
7. "Persuade or Perish" by Wallace Carroll.

Summary

RUMOUR

By

Brigadier PSC Ahmed Shawky Abdel Rahman Bey

Rumour is mouth-to-mouth communication of unconfirmed stories and anecdotes. It is one of the most formidable weapons of the psychological warfare.

Historians believe that Genghiskhan effected his Mongol conquests with 'limitlesshordes' of wild Tarter horsemen, who flooded the world by weight of sheer numbers. Recent research shows that the countryside of inner Asia could not possibly have produced such a multitude. It has transpired that he was a master-genius in the art of psychological warfare. He had no doubt surpassed whatever the Germans, Russians and Americans had achieved in this field during the Second World War. He applied by instinct the technical principles which we now call the "Black Propaganda" with marvellous skill. He used espionage to plan his campaigns and deliberately used rumour to exaggerate accounts of his large numbers, their stupidity and ferocity.

Genghis even used the spies of the enemy as a means of frightening the enemy. When spies were at hand, he indoctrinated them with rumours concerning his own forces, their overwhelming strength, their ruthlessness, endurance and obedience to their officers. The spies conveyed the information faithfully to their people; thus the battle was won before it was fought.

If the gifted leaders of the past had employed rumour as a weapon of psychological warfare without reading a word of Freud or Pavlov, psychology makes it possible, in modern times, not only for the able but for the ordinary officer to calculate his persuasion systematically and to obtain the same results without being a genius or endowed with mystic power of intuition. The psychologist can bring to the attention of the soldier those elements of the human mind which are usually kept out of sight. He can show him how to convert lust into resentment, individual resourcefulness into mass cowardice, friction into distrust and prejudice into fury.

Defeat in war is ultimately a conquest of the mind. Marshal Foch said. "A battle won, is a battle in which one will not confess to oneself being beaten".

The object of killing the enemy and making him suffer is to force him to surrender or to change his attitude of mind so as to relinquish his determination to resist and predispose him to accept defeat. This can only be achieved by launching beside the physical warfare a psychological warfare. Its objective would be to prepare the enemy by means of argument, suggestion, enlightenment, delusion and other indirect means to surrender. It is to shake his morale to the extent of believing that the pursuance of war is more harmful than defeat.

The Germans had mobilized their scientists and more particularly the Psychologists and created a Staff Headquarters for Military Psychology beside the military operations headquarters. It had sections devoted to "Offensive Morale" and to "Defensive Morale". The objective of the first was to destroy the enemy's morale by means of propaganda, employing the native differences in their psychological attitudes and motivation. The second was concerned in fostering the morale in the military and civilian German population.

Rumour is employed in the psychological warfare for the following purposes :

1. For disruption. It is capable of destroying the morale. The Germans have employed it in France after its surrender in 1940 and they were very successful.
2. As a smoke screen. It can be employed as a screen to cover the facts and thus mislead the population.
3. To discredit news sources.

4. As a bait. False nwes can be dispersed in order to induce the enemy to deny them and issue the correct news.

There are certain tested counter-measures to propaganda:

1. Accustom your public to trust the official reports, by being truthful, as far as security permits.
2. Develop faith in the public and military leaders, by offering the proof.
3. Announce the greatest possible amount of the prevailing facts.
4. Fight the rumour-mon gers.

Time has not come yet to disclose the rumours which were scattered in Palestine during the recent campaign. Thousands of the refugees fled from their homes as result of what is called the "panic rumours".

This kind of rumour however incite to action. It happened in France before Palestine. It comes as reports of the approach of enemy troops. With them the danger is real, palpable and immediate, for the listener tends to do something about it suddenly and violently. He packs a few of his most cherished possessions on a camel, collects his family and starts out of town away from the enemy. Then he himself becomes a rumour, and the rumour becomes a fact, for people see him going and decide to go too.

Many a rumour was spread by the Zioaists with view of intimidating the Egyptian force beseiged at Falouja and inducing them to surrender, but the Commanding Officer was on the alert. He secured the truth from the headquarters by wireless (using secret code). Once the Jews dispersed the news that the Officer Commanding of the 9th Egyptian Battalion has killed and his troops annihilated. As evidence of their truthfulness they produced a photograph of said officer's identity card. But it was proved that the news was a lie. The Falouja Commander was able to speak by radio-telephony to the alleged dead commander. It turned out that the latter had accidently lost his identity card in the battle field. Then the Falouja Commander was able to thwart the false rumour.